المنظومة الحديثية

وآليات منهجها عند القدماء والمعاصرين

المدرسة الرجالية المعاصرة أنموذجاً

الأستاذ المساعد الدكتور

صالح جبار القرشي

كلية الفقه – جامعة الكوفة – قسم علوم الحديث الشريف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يحمد على مكروهه سواه، والشكر على آلائه شكراً لا يبلغه أحد لعظمته في علاه ، والصلاة وأتم التسليم على خير خلقه من الأولين والآخرين، ذلك هو الحبيب المصطفى الأمين محمد بن عبد الله (8) وعلى آله الغر الميامين (عليهم صلوات ربي أجمعين) وبعد:

لقد غادر النبي (8) هذه الأمة بعد ان بعثه الله سبحانه وتعالى شاهداً ومبشراً ونذيراً للإنسانية كافة، فهو رسول الله وكفى به رسولاً.

وقد نهض (8) بأعباء الشريعة متحملاً مسؤوليتها كاملة ليس على مستوى التبليغ فحسب، بل نهض بمسؤولية مضاعفة قياساً عما سبقه من الأنبياء والرسل (Γ)، فكانت رسالته محط أنظار الدنيا بأسرها نظراً لما تتمتع به من خصوصيات وميزات لم تختص بها أو تمتاز بأوصافها بقية الرسالات الأخرى، ويقف على رأس الفوارق بينها وبين الأخريات من تلك الرسالات كونها تقوم بمعجزٍ لا يضاهايه ما تمتلكه أمة من الأمم من إعجاز، أنه القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وبذلك يكون نتاجه العظيم (8) متمثلاً بحديثه الشريف وقوله المعبر في المرتبة الثانية بعد قول الله سبحانه وتعالى وهو بمثابة السنام الأعظم للشرائع بأسرها بعد النص القرآني العظيم من حيث الرصانة والاعتبار والتقويم، فالراد عليه كالراد على الله .

إلا ان قوله (8) يبقى أدنى مرتبة من قول الله جلّ وعلا، حيث أن السماء التي تكفلت بحفظه لوحده - أعني القرآن الكريم - فقد نالوا من أحاديثه (8) الشريفة المارقون من الدين، وكانت أكاذيبهم تنتشر علناً في شعاب مكة وغيرها لتثبط من عزيمته ولكن دون

جدوى، وقد أشار إلى حدوثها (8) بعدد ليس بالقليل من أحاديثه الشريفة والتي حكى لنا فيها ما سيتعرض له هذا التراث العظيم من تكذيب يذكر .

لذلك ومن هذا المنطلق فنحن مسؤولون عن الحفاظ عليها من التلاعب والضياع، وكذلك سُنَّة أهل بيته المعصومين (Γ) وتمحيص الطرق والأسانيد للأحاديث الواردة عنهم (صلوات الله عليهم) بغض النظر عن كونها أخبار آحاد أو كونها متواترة أو مستفيضة وما يلابس هذه القضية من مقدمات ولوازم . وهذا ما ينهض به علم خاص اسمه (علم الرجال) لأن استنباط الاحكام الشرعية يتوقف على تمحيص هذه الطرق للوصول إلى حالة من الاطمئنان في تلك الاحكام .

أن ثمة علاقة وطيدة بين ما ورد من أحاديث نبوية شريفة وبين علم الرجال وهي علاقة ليست بالعادية، حيث تماسكها لا ينفك عن طرفي هذه المعادلة التي لا تستغني عن أي حالة منهما والتي تتمثل بالحديث الشريف من جهة وبين أصول روايته من جهة أخرى .

لقد قصَّ الله سبحانه وتعالى على النبي (8) أخبار من سبقه من الأمم لعبرة ارادها تعالى ليثبت بها قلب رسوله (8) في تحمله لمهامه الصعاب، حيث ذكرت العديد من النصوص المشرفة ذلك وبتكرار ملفت للنظر فلا بد من هدف لهذا التكرار !! .

قال تعالى : ﴿ وَكَأَنقَصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِمُؤَدِّكُ ﴾ (1).

وقوله : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ (2).

وقوله : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ بَأْسَهُم بِالْحَقِّ ﴾ (3).

وقوله : ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ (4).

ويبدو ان الأمر لم يكن عادياً في إيضاح السماء للنبي (8) بان هذا الاستدكار لم يكن من باب الاستمتاع بل من باب التفعيل لعمله المبرمج، ولعل أهم ما يلتفت إليه النظر بهذه النصوص هو ضرورة التأثر بالأحداث السابقة لرسالته عند سماعه لأخبارها المروية عن

طريق الوحي، لابد للنبي (8) ان يقف عن كذب من احداثها التي تكفل الله له بإيصالها إليه .

إن لابد من وصول الحدث والخبر والرواية ولابد من ثقة الموصل وهذا يومئ إلينا بكل دقة ووضوح ما لدور (علم الرجال) من ضرورة تذكر، فهو رواية وتوثيق وضرورة تواصل الماضي بالحاضر شريطة ان لا نزوح على ما كان، ولابد من التمحيص عما ينتظرنا من أحداث متواصلة وسوف لن نتقطع ما دام هنالك تجديد لاواصر هذه العلاقة المعقودة بين ذلك الحدث والتفنن في استمراريته واستيعابه .

لذلك سيتكفل بحثنا المتواضع ببيان أهمية الحديث النبوي الشريف من جهة وبين المحافظة على هذه الضرورة بما يتوجب على الأجيال المتلاحقة في الحفاظ على الصورة الناصعة لسلامة الموقف المرسوم في خدمة تراثنا الأصيل من تجديد وتنوير في خلق الأنماط الجديدة لواجبات الباحث الرجالي وعلى مختلف الأصعدة وكشف ما يحيط بالعملية الحديثية والرجالية من ضبايات يتوجب على الباحث ملاحظتها بل ومعالجتها بكل ما أتى من قوة لدرء محاولات العابثين بما جاء به رسول الله (8) .

وبناء عليه فقد تضمن هذا البحث المتواضع المباحث التالية :

المبحث الأول : أهمية الحديث الشريف في الفكر الإسلامي والعقدي .

المبحث الثاني : العلاقات المشتركة بين الحديث الشريف وأفراد المنظومة .

المبحث الثالث : توظيف الأنماط الرجالية للمدرسة المعاصرة لهذا الهدف .

المبحث الأول : أهمية الحديث الشريف في الفكر الإسلامي والعقدي

إدراكاً منا بأن (الحديث الشريف) هو الذي يتمثل به المنبع الثر للاحكام الشرعية باعتباره المصدر الثاني بعد القرآن الكريم, وهذا المدرك يسوقنا إلى إحداث موازنة بين مفاصل ومحتويات ومضامين البحث الذي من خلاله يتبين لنا بان (علم الرجال) وهو العلم الذي بواسطته يتضح للبصيرة ضرورة المسائل الاعتقادية من خلال التطرق لكل ما يتعلق بوصول الرواية سالمة من كل عيب على أن يكون الطريق الموصل إليها قد استوفى شروط وثوقه . لذلك فقد تمتنت العلاقة الصميمية بين الحديث الشريف وهذا العلم - اعني علم الرجال - .

ولأن السُنَّة المشرفة تعد بمثابة المصدر الثاني للعقيدة والشريعة نلحظ بأنها استغرقت البحث والتتقيب من قبل المسلمين كافة, حيث عكف المسلمون قاطبة على جمع وتمحيص - كل حسب نظره - ما روي عنه (8) من قول أو فعل أو تقرير⁽⁵⁾, ليستدل كل منهم بما يراه مناسباً من وجهة نظره بالأدلة التي يقتنع بها حسب تلك الدليلية التي أثبتها .

((فعلم الحديث من العلوم الشرعية التي يتوقف عليها الاجتهاد الفقهي, وتقوم على أساس منها عملية استنباط الاحكام الشرعية من مصادرها))⁽⁶⁾, وتأتي أهمية (الحديث الشريف) في التراث الفكري من كونه أهم حدث هزَّ وجود المعمورة , إذ بواسطته يتم كشف النقاب عن دور الشريعة وأهميتها في استكمال وضرورة العقيدة ومدركاتها في العقول, وقد تمخض هذا النص من واقع الحدث الذي كان النبي (8) بطلاً له طيلة تعلقه بنزول النص القرآني وتبليغه منذ بدئه حتى استكمالها, يقول توماس كارليل (Dr. Tomas Karlil) الفيلسوف الأكبر ((وعلى ذلك فلسنا نَعُدُّ محمداً هذا قط رجلاً كاذباً متصنعاً يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيةٍ ليطمح إلى درجةٍ مَلِكٍ أو سلطانٍ أو غير ذلك من الحقائق والصغائر, وما الرسالة التي أداها إلا حق صراح وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول, كلا ما محمد بالكاذب ولا الملقق وإنما هو قطعة من الحياة قد تفتّر عنها قلب الطبيعة

فإذا هي شهاب قد أضاء العالم اجمع, ذلك أمر الله, وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم, وهذه حقيقة تدمغ كل باطل وتدحض حجة القوم الكافرين⁽⁷⁾, ((فلولا هذا النص الذي أرخ معه الزمان والمكان والحدث والأشخاص والأقوال لما عرفت البشرية صناع الحياة من هدامها, ولما عرفت علمائها من جهالها ولا صلاحاتها من فسادها))⁽⁸⁾, وقد كَفَّر ابن حزم من انفرد بالآخذ من القرآن الكريم دون الحديث الشريف بقوله : ((لو ان امرأً قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة ... وقائل هذا كافر مشترك حلال الدم والمال))⁽⁹⁾.

ولابد بهذا الخصوص أن نميز بين مصطلحي (السنة) و(الحديث), فقد ذهب رجيل من المحدثين إلى انهما مترادفان في المعنى, فهما بمعنى واحد, حيث يوضع أحدهما مكان الآخر, ففي كل من المصطلحين إضافة (قول) أو (فعل) أو (تقرير) أو (صفة) للنبي (8)⁽¹⁰⁾, وفي مقابل هذا الرأي, فقد يرى فريق آخر من الباحثين وجود فوارق بين المصطلحين, ربما توصف بأنها دقيقة وتظهر هذه الدقة بجلاء عندما يتم رد اللفظين إلى أصولهما من حيث (اللغة) و(الاصطلاح), فقد ذهب ابن منظور إلى أن لفظ (الحديث) هو ما يقابل (القديم) حيث يراد به القرآن الكريم⁽¹¹⁾, ويبدو ان معنى (الجده) قد تضمنه لفظ (الحديث), ويقابله القديم يعني الذي سبقه زماناً وهو (القرآن الكريم), فالحديث الشريف عيال على النص القرآني زماناً, فأصبح الحديث بذلك شارحاً ومُفَصِّلاً لآيات القرآن الكريم وسُوْرِهِ, وهذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽¹²⁾.

ولعل التبيان المشار إليه في الآية الكريمة ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ هو المراد من هذا المعنى تصريحاً لا تلميحاً, ((فان الحديث لا يكون إلا مفسراً وموضحاً ومؤكداً تعاليم السماء للبشر))⁽¹³⁾.

كما ان أهمية الحديث الشريف يمكن تصورها من ضرورة وأهمية انتشار معالم الدين بين جميع الأفق والأمم والملل نظراً لاحتياج الكل إليه, وكان هذا الأمر أهم ما يهدف إليه

النبي (8)، حيث انتشر معالم الدين لا يتأتى إلا من خلال تقبله وانتشاره بين الملوك والسلاطين والأباطرة التي تحكم البلدان آنذاك، لذلك فقد بارد الرسول الأكرم (8) إلى ابعاث رسله وعماله واصحابه إلى هذه الشعوب والدول مفتحاً اياهم بالدخول إلى الدين الجديد، وكان يسعى لإنجاح هذا الأمر بكل ما يستطيع ان يبذله من جهد فأمن من آمن، وانقلب من انقلب والعاقبة للمتقين، فكانت رسائل النبي (8) بيد عماله إلى هؤلاء تعني حديثه اليهم لأنه كتبها على القراطيس وختمها بختمه واحتوى مضامينها جيداً وتحمل مسؤولية نتائجها كاملة، فهو كلامه وحديثه وتقريره ولكن كل ما في الأمر أنه مكتوب، فكانت هذه المكاتيب ((تحوي موضوعات مختلفة منها : الدعوة إلى الإسلام، تأليف القلوب، تعليم معالم الدين وغيرها))⁽¹⁴⁾.

وهذا بالضرورة إنما يعني هدف هذه الرسالة الحقبة بمعاييرها الصميمية من اجل ان ينتشر دين الله في دنيا الوجود .

لقد اهتم النبي الكريم (8) بالحديث الشريف وحفظه وتداوله ليوجه الناس ويعلمهم (8) بضرورته وكان يُقسَم على ان لا يخبرهم إلا بالحق وعليهم تدوينه وقد شهدت الساحة الإسلامية كثيراً من الإشارات الدالة على هذا المعنى الذي لا يسعنا الخوض فيه بهذا المبحث، وسنشير إليه بموضع آخر من البحث ان شاء الله، مشيرين ومؤكدين أنّ حديث رسول الله (8) يشكل الدعامة الثانية بعد القرآن الكريم ضرورة واهمية ورسالة، حتى ان الأمر لو افترض عدم وجود الحديث الشريف على الساحة لقلنا لما استطاع النص القرآني المُشرف من الوغول إلى العمق في نفوس الناس ولابتعدت الناس عن الإيمان بما نزل فيه من نصوص، ((فالقرآن وإن كان نصاً محورياً في الوجدان الإسلامي فان الحديث النبوي أيضاً مثّل نصاً ثانياً لا يختلف في كثير من الحالات حيث تعامل المسلم معه تقديساً وتأويلاً واستلهاماً بل وساهم في رسم الحضارة الإسلامية باسمته النصية))⁽¹⁵⁾.

وما زلنا في استذكار أهمية الواقع الحديثي وبالذات الحديث النبوي الشريف، وكيفية معالجته لواقع التغييرات الطارئة على الأئمة، حيث غزت الأفكار الجميع واصبحت العقول تتعايش معاً في ببحوحة واحدة في عالم لا تغيب عنه المعلومة فهي للجميع وبأي وقت يشاء، فتلك حالة تستدعي منا الانتباه والالتفات في الحفاظ على موروثنا الإسلامي المتمثل بحديث رسول الله (8)، وحفظه من الزيغ خصوصاً بهذه الظروف القاهرة.

يقول احد الباحثين بصدد هذه القضية ((غير ان الحداثة التي تعيشها المجتمعات الإسلامية المعاصرة قلبت عديد المسلمات وادخلت تجديداً على فهم المسلم للنصوص وتأويلها، فالحداثة بما هي صنو للتحوّل والحركية الدائمة وبما تعنيه من سعي متواصل إلى التفاعل الحر مع الواقع الاجتماعي والحضاري والتاريخي وبما تعنيه من اولوية الفرد على الجماعة وجرأة العقل على النص لآبد ان تؤثر في نظرة المسلم المعاصر إلى موروثه الديني وفي تعامله مع كل أشكال المقدس في حياته، فكان من الطبيعي ان تتغير نظرة المسلم الحديث إلى تراثه بتغير الظروف التاريخية التي يعيش فيها وان يكون للتحوّلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تتعرض لها المجتمعات العربية والإسلامية دور في تشوير عديد المسلمات التي عدت في الوعي الإسلامي يقيناً ثابتاً لا تشوبه شائبة واعتبرنا ذلك منطلقاً لنا للتعرف على منزلة الحديث الشريف في حياتنا المعاصرة وفي مجالي الفكر والواقع من خلال تحليل مواقف المفكرين المحدثين منه))⁽¹⁶⁾.

لذلك نقول: ان أهمية التراث المتمثل بالحديث الشريف باقٍ بقاء الدهر لأن النص القرآني والثوابت العقلية والنصوص المعتبرة والحجج المتوافرة والمسلمات الروائية، كلها تقطع بأمر هذه الضرورة التي لا مناص للعقل من تجاوزها والاستغناء عنها، تلك هي ضرورة الحديث النبوي الشريف التي لا يفتأ العقل لحظة إلا وهو بين جنبيه ولهذا يعد من ضرورات المجتمع المثالي سواء كان قديماً أم معاصراً .

المبحث الثاني: العلاقة المشتركة بين الحديث الشريف وافراد

المنظومة

أومأنا من خلال المبحث الأول من البحث ولو من بعيد بأن علم الحديث قد ارتبط بعلوم أخرى ولكنها لم تبتعد عن بحبوخته كل البعد، فالحديث الشريف والسنة والسيرة والأثر والخبر وعلم الرجال وعلم الدراية والرواية وعلم الجرح والتعديل والناسخ والمنسوخ والمؤتلف والمختلف كلها تشترك معاً بمشتركات حيوية تتلاقى مع بعضها ويمكن عدّها أفراداً لعائلة واحدة، فبعد ان نشط الدارسون في الحديث الشريف الحاكي عن السنة نشاطاً ملحوظاً وتدارسوا متعلقات هذا العلم وضبط أصوله وتفرعاته ومسألة تدوينه وخلال القرنين الثاني والثالث الهجريين تحديداً ظهرت جملة من العلوم التي تفرعت عن علم الحديث وهي العلوم التي ذكرناها أعلاه، وقد تمخضت هذه الدراسات بين أصناف علومه حتى نتج ان تداخلت والتقت بعضها ببعض فتم اختزالها إلى ثلاثة علوم هي علم الرجال وعلم الدراية وعلم الرواية⁽¹⁷⁾، وسنتطرق إلى هذه العلاقات - اعني علاقات علم الحديث بالعلوم الأخرى - وسنتخذ من علاقته بـ(علم الرجال) و(علم الدراية) نموذجين مختارين لهذه العلوم .

أولاً : علاقة علم الحديث بعلم الرجال

ويعرف علم الرجال: بأنه العلم الذي يقدر به على معرفة أحوال الخبر الواحد صحة وضعفاً، وما في حكمها بمعرفة سنده ورواة سلسلته منه ذاتاً ووصفاً ومدحاً وقدحاً في معناه⁽¹⁸⁾.

وقد عرف (علم الرجال) عدة تعريفات نعزف عن الدخول بتفاصيلها كي لا تدهمنا كثرة الصفحات بذكر التفاصيل، ولكن الذي لا بد من ذكره بصدد أهمية هذا العلم وعلاقته بعلم الحديث فهو العلم الذي يبحث في أحوال رواة الحديث وأوصافهم التي لها مدخلية في جواز قولهم وعدمه⁽¹⁹⁾.

وثمة علاقة أخرى بين علم الحديث وهذا العلم تتجسد في ان (علم الرجال) يحتاج إليه كل من اشتغل في مسألة استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها التي يكون عمدتها الأحاديث المروية عن أهل البيت (Γ), حيث لا بد من ان يطلع على تفاصيل أحوال رجال سند الحديث ويحصل له الاطمئنان بانهم ممن يصح التعويل عليهم في الأخذ برواياتهم ليكون حديثهم حجة له في عمل نفسه أو الافتاء لغيره⁽²⁰⁾.

كما ان هذا العلم - اعني علم الرجال - يمثل البحث الرجالي الذي يتصف بالتدقيق العميق في سيرة الأئمة العملية واتجاههم في قبال الاعتقادات الموجودة في عصورهم, وبعبارة أخرى فان البحث الرجالي في المفردات بمثابة الفتوى في الاحكام الاعتقادية المنطبقة على تلك المفردة يضاف إلى ذلك فان الرجالي مسؤول عن كيفية الجمع بين الاخبار النافية والاخبار المثبتة والخروج بحصيلة نهائية وأن مرجع ذلك يعود إلى قابلية الراوي ومستواه العلمي وقدرة تحمله الذهني⁽²¹⁾.

ويندرج تحت ضرورة هذا العلم ومدى قدرته في ان يتجسد الجمع والموازنة بين وصفي الراوي والمروي (أي وثاقة الراوي وكون المروي مفيداً للاطمئنان), حيث كون الراوي ثقة لا يكفي في الدليلية, بل ان ذلك يحتاج إلى إحراز الطمأنينة لكون الخبر مفيداً, وهذا بطبيعة الحال لا يتحقق إلا إذا كان الراوي ضابطاً للحديث ناقلاً إياه حسب ما ألقى عليه الإمام (X) وهذا الملحظ لا يمكن إدراكه إلا بالرجوع إلى أحوال الراوي, حيث يجب الإشارة إلى ان عدم ضابطة الراوي مع كونه ثقة سينتج عنه اضطراباً في نقل الأحاديث وتعارضاً في الروايات, حيث قام هذا النوع من الرواة بحذف بعض الألفاظ والجمل في تلك الأحاديث, أو نقلوه بالمعنى دون سبك العبارة وضبطها مما نتج عنه عدم كفاية اللفظ في إفادة مراد الإمام (X)⁽²²⁾, وهذا بحد ذاته يعتبر ترهلاً في نقل ما يصح عنهم (Γ) بشكله المنضبط.

وحصيلة ما في الأمر أن (علم الحديث) يشترك مع علم الرجال) في دراسة السند ويختلفان في الحيثية أو الموضوع الذي يتناوله كل من العُلَمَين, ف(علم الرجال) يقوم بدراسة أحوال

الرواة من حيث الوثاقفة وعدمها, وهو عندئذ يهيء لـ(علم الحديث) الجزئيات التي يطلق عليها قواعده الكلية⁽²³⁾.

وشهدت الساحات العلمية عند العلماء والباحثين كثرة اللقيا والبحث المشترك بين العلماء المختصين بعلم الحديث مع علماء الرجال وبالعكس فنتج ان اشتغل رجيل كبير منهم في العلمين معاً, وكان المحدث الحاكم النيسابوري قام بدراسة الأسانيد وطرق الرواية عند المسلمين وتوصل إلى رأي مفاده: أن اصح أسانيد أهل البيت جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده عن علي (Γ), وان اصح أسانيد أبي بكر إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر, واصح أسانيد عمر بن الخطاب عن الزهري عن سالم عن أبيه عن جده, وتحدث الحاكم بعد ذلك عن أوهى الأسانيد⁽²⁴⁾.

ولابد من الإشارة إلى ان هذا العلم نتيجة لعلاقته الوطيدة بعلم الحديث قد مرّ بمراحل تطويرية كشفت إلى ان أصله يرجع إلى عصر التابعين وصولاً إلى ما آل إليه هذا العلم بما قدمه المتأخرون من خدمات جليظة سنشير إليها بالمبحث الثالث من هذا البحث ان شاء الله, وهنالك اشارات تؤكد ان علم الرجال قد اتضحت معالمه عند الإمامية منذ اوائل النصف الثاني من القرن الأول الهجري على يد مولى رسول الله (8) عبيد الله بن أبي رافع⁽²⁵⁾, والذي كان هو كاتب الإمام علي بن أبي طالب (X), وقد ذكره الشيخ الطوسي (Σ) في رجاله⁽²⁶⁾, بأنه من خواص أمير المؤمنين (X)⁽²⁷⁾.

2- علاقة علم الحديث بعلم الدراية

الدراية لغة بمعنى العلم والاطلاع, درى من باب رمى, و(دراية) بكسر الدال و(دُرية) بضم الدال وكسرها, و(أدراه) أعلمه⁽²⁸⁾.

ولعل الدراية أخص من مطلق العلم، والدراية عبارة عن العلم بدقة وإمعان، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْمِرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْمِرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (29).

وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْمِرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (30).

أما في الاصطلاح فالدراية عبارة عن العلم الذي يبحث فيه عن متن الحديث وسنده وطرقه، من صحيحها وسقيمها وعليلها، وما يحتاج إليه ليعرف المقبول من المردود (31). وعرفت الدراية كذلك بأنها: ((علم يبحث فيه عن سند الحديث ومتمنه وكيفية تحمله وآداب نقله)) (32).

ويرجح الأستاذ السبحاني التعريف الثاني على الأول، ويعزي هذا الترجيح إلى كونه مشتملاً على بيان كيفية تحمل الحديث وآداب نقله، وهما من مسائل هذا العلم أو من توابعه (33). ويتضح جلياً بأن المعاني المنتزعة من التعريفات المذكورة آنفاً تكشف عن علاقة علم الدراية بعلم الحديث بشكلها الواضح، لأن تلك التعريفات تسفر عن كون المشتغل بهذا العلم سوف لن يجد مساحة لعمله فيما لو لم يكن هنالك علماً أسمه (علم الحديث) رغم كون (علم الدراية) هو اخص من العلم وبهذا المدرك ذهب البعض إلى تعريفه: بأنه العلم الباحث عن الحالات العارضة على الحديث من جانب السند أو المتن (34).

وللبحث عن رأي يعضد ما ذهب إليه الأستاذ السبحاني نظراً لأنه يتكفل العوارض التي تطرأ على الحديث، وهذه العوارض تشير إلى احتياج الدقة والبيان الصائب لما طرأ على الحديث من عوارضه تلك وهذا ما يتكفل بالنهوض به (علم الرجال)، لأن علم الرجال هو الذي يدقق بشأن عوارض الحديث، حيث أنه - أي علم الرجال - يبحث عن الأحوال العارضة على الاحاد في علم الرجال أي بيان كل ما يتعلق بالرواة واحداً واحداً وبشكل

شمولي وهو الذي يعني الكشف عن عوارض الرواة ذاتاً ووصفاً مدحاً وقدحاً، وبذلك يكون المثلث الذي أساسه يتكون من علم الحديث وعلم الرجال وعلم الدراية يوجد شكلاً متكاملًا ورسمًا فنيًا ينهض بأعباء مهمة كشف الراوي وصفاته ومتعلقاته وصولاً إلى حالة الاطمئنان الكلي الذي يتصف بسلامة الحديث من جميع عوارضه السلبية .

وإذا رجعنا إلى التعريفين السابقين اللذين تباهما الشهيد الثاني في شرح الدراية، والعاملي في الوجيزة نلاحظ بوضوح ما لـ(علم الدراية) بـ(علم الحديث) من علاقة حتى لا يمكن انسلاخ بعضها عن الآخر ولو حصل ذلك لبطل العمل الصحيح باستجلاء الصورة الناصعة عن مورثنا الحديثي .

والملفت للانتباه بان أفراد هذه المنظومة - اعني المنظومة الحديثية - وبكل محتوياتها من علوم حديث وعلم رجال وعلم دراية وتراجم وجرح وتعديل وغيرها كمثّل العائلة الواحدة التي إذا فقد أحدها اختل نظامها وتقهقرت قواها وانشل نظامها، ولعلي استذكر بهذا الصدد قول الأستاذ السبحاني الذي وصف علاقة فردين منها وهما علم الدراية وعلم الرجال بقوله: ((علم الرجال والدراية كوكبان في سماء الحديث، وقمران يدوران في فلك واحد، يتحدان في الهدف والغاية وهو الخدمة للحديث سنداً ومنتأً، غير ان الرجال يبحث عن سند الحديث والدراية عن منتها، وبذلك يفترق كل عن الآخر، افتراق كل عمل عن العلم الآخر بموضوعاته))⁽³⁵⁾.

المبحث الثالث: توظيف الأنماط الرجالية للمدرسة المعاصرة لهذا الهدف

1- استعداد القدامى لتقبل التغيير

عرفنا في المبحث الثاني من هذا البحث ماهية (علم الرجال) ودوره في تحريك المنظومة الحديثية باعتباره العلم الذي يختص بتشخيص حال الرواة من حيث هم كذلك ذاتاً ووصفاً، مدحاً وقدحاً، لأن ((علم الرجال يزودنا بالقواعد الكلية لنقوم بتطبيقها على جزئياتها ومواردها، مما هو مدون في كتب الرجال تعريفاً للراوي وتقييماً لحاله))⁽³⁶⁾.

وبناءً عليه فقد عدَّ قول الرجالي في تعريف الراوي وتقييم حاله هو من نوع الشهادة، ولأنه كذلك فيمكن ان تساق قاعدة كلية يتبناها هذا العلم ومفاد هذه القاعدة هو أن ((قول الرجالي إذا كان ثقة ثبناً ضابطاً في حق الراوي هو شهادة يركن اليها ويعتمد عليها))⁽³⁷⁾.

ولأن الراوي والمحدث قد اشتركا في توظيف الحالة الوصفية للحديث الشريف لتعاملهما أسوة مع هذا النص المشرف من واقع الحدث الذي يوجب إصدار قول النبي الكريم، حيث كان (8) يقدم وصفاً لأي حالة يراها ويتلمسها من قبل الصحابة أو الأمة طالما هو بين ظهرانيهم، لذلك تُعد الكتابة في علم الرجال نمطاً من أنماط الكتابة التاريخية التي ظهرت منذ بواكير التدوين عند العرب والمسلمين، وهي ضخمة الكمية، ومتنوعة المادة⁽³⁸⁾.

حيث ((واكب الحديث جميع الأحداث والوقائع التي مر بها الإسلام والمسلمون في عصر النبوة، مجارة منه لمواكبة القرآن نفسه لتلك الأحداث فلا تجد واقعة - صغيرة أو كبيرة - إلا وللحديث حضور فيها، وقد اكتفى ((المسلمون بما يصدر عن النبي (8) في مواكبة الأحداث ومعالجة المواقف))⁽³⁹⁾، وقد أفاد التقسيم الرباعي للعلماء من قبل الإمام أمير المؤمنين (X) كثيراً في عملية استنباطهم للأحكام الشرعية، فقد وضع هذا التقسيم المتوازن حلوياً على مدى الدهر حتى عدَّ تنظيراً ومحركاً لعملية تقسيم وتقويم الروايات والأحاديث، فهو بمثابة المحفز لذوي الاختصاص في علوم الحديث والرجال والدراية وغيرها، في كونه

ضابطاً وميزاناً لعملية الاشتغال بهذه الفنون، ونحن لا نريد ان نفصل في القول بذكر هذه الأنواع من الرواة التي وقف عليها الإمام (X) ولكن سنشير إلى ذكرها باقتضاب، فقد روى سليم بن قيس الهلالي حينما سأل الإمام (X) حول اختلاف الناس فيما كان بين أيديهم من تفسير للقرآن وأحاديث لرسول الله (8) عما كان في أيدي آل بيت النبي (8) وحواريهم .

وقال (X) لسليم ((وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس))⁽⁴⁰⁾، إلى نهاية ذكره لهم وهم:

1- رجل منافق يظهر الإيمان متصنع بالإسلام لا يتألم ولا يتحرج ان يكذب على رسول الله (8) متعمداً .

2- رجل سمع من رسول الله (8) شيئاً لم يحمله على وجهه ووهم فيه، ولم يتعمد كذباً، فهو في يده يقول به، ويعمل به، ويرويه، ولو علم هو انه وهم لرفضه.

3- رجل ثالث سمع من رسول الله (8) شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء، ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم انه منسوخ لرفضه، ولو علم المسالمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

4- وآخر رابع لم يكذب على رسول الله (8) مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله (8) لم ينسئه بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه، ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ...⁽⁴¹⁾.

أقول: واستمرت مسيرة المسلمين منذ عصر الرسالة مروراً بالإمام علي (X) وعصره الذهبي فكراً، وبالتحديد على المستوى الروائي منذ انبثاق هذا التنظير الجديد للراوي الذي أوقد فيه الإمام (X) جذوة الأذهان بإطلاقه على الساحة الفكرية آنذاك، فبقي الحديث بين مراحل المد والجزر، إلا ان اصوله الحقيقية قد أُرسيت بمضامين هذه الرصانة التي تضمنتها وثيقة التقسيم من قبله (X) .

وبقي المسلمون من حواريّ أهل البيت (X) واصحابهم يحافظون على هذا النهج الذي رسمه النبي (8) وأمير المؤمنين (X) وصولاً إلى عصر التابعين وإلى يومنا هذا بمضامين علوم الحديث، والبحث عن الثقة من الرواة ومعرفة أحوالهم وضبطهم وهذا تبناه (علم الرجال) كما ذكرنا .

ولحمل هذا العلم اعباء هذه المسؤولية التي أقيت على عاتقه منذ اللحظات الأولى لصدوره من فم النبي الكريم (8)، فقد أولينا الاهتمام به كاهم تفريع ورد عن علم الحديث الذي يعني كلام رسول الله (8) كما اسلفنا، لذلك فقد قام العلماء إبان هذه الفترات والعصور بتأليف المعاجم والمؤلفات التي تفصح وتكشف عن كل متعلقات الرواة وبيان وثاقبتهم أو ضعفهم، وقد اشتهرت تأليفات الرعيل الذي نحن مدينين لهم بهذا الإثراء الذي تركوه في تراثنا الحديثي، وجعلوا بصماتهم علامات شرف نتيجة لفكرهم النيّر ومحاولاتهم العلمية المشهود لوقفها من الجميع .

لكن هذا لا يعني ان نسلم الأمر لهذه الثوابت ولا يمكن ان نقطع بهذا تسليم إلا إلى القرآن الكريم وقول وفعل الرسول (8) وأهل بيته الأطهار (Γ) .

يقول الشيخ الطوسي، ممنهجاً لكتابه الرجال وفي مقدمته له، وبعد ان ذكر جهده بكتابه هذا ومعاناته له: ((ولا اضمن ان استوفي ذلك إلى آخره))⁽⁴²⁾.

ثم يقول: ((فإن رواة الحديث لا ينضبون، ولا يمكن حصرهم لكثرتهم وانتشارهم في البلدان شرقاً وغرباً، غير اني أرجو أن لا يشذ عنهم إلا النادر، وليس للإنسان إلا ما تسعه قدرته وتنااله طاقته))⁽⁴³⁾.

ومن يطلع على كتاب رجال الطوسي يجد أنه قد ذكر معاوية بن أبي سفيان⁽⁴⁴⁾، وعمرو بن العاص⁽⁴⁵⁾، ومروان بن الحكم⁽⁴⁶⁾، هم من أصحاب النبي (8)، كما أن بعض المحدثين والرجاليين ذكروا بأن جميع ما ذكره الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الصادق (X)

ثققات, فقال المفيد بصدد ذلك ((أن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثققات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل))⁽⁴⁷⁾.

كما أن كثيراً من المثالب لم يغفل عن ذكرها ذوي الاختصاص وأهل الفن التي اعترضت طريق القدماء من الرجاليين من أهل الشهرة كالكليني (ت328هـ), وابن عقده (ت333هـ), والصدوق (381هـ) والنجاشي (ت450هـ), والطوسي (ت460هـ), وابن البطريق (ت600هـ), وابن داود (ت707هـ), والعلامة الحلي (ت726هـ), والمجلسي (ت1111هـ), وغيرهم ممن اشتهر بالتقنن وحسن الإطلاع والعقل الحصيف.

والحق أنه [لا بد من غربلة الموروث الروائي والخروج من حاكمية إسلام محورية الحديث ولا يقال ان الحديث خط احمر لا تقترب منه, فان الخط الأحمر هو القرآن, لقوله تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَكَأَنَّ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾⁽⁴⁸⁾, والخط الأحمر هم الرسول الأكرم (8) وآله أئمة أهل البيت (Γ), وما عدا ذلك لا يوجد عندنا خط احمر]⁽⁴⁹⁾.

وقد شهدت الأوساط العلمية أن بيوتهم وحلقاتهم الدراسية تعج بالحوارات والمناظرات وبعد النظر ما دفع بعضهم لنقد الآخر ليس لعداء ولكن بدوافع لا تخرج عن كونهم يهدفون إلى صيانة الشريعة وخدمة العلم, يقول النجاشي في ترجمة محمد بن مسعود المعروف بالعيشي ((وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قارئ أو معلق مملوءة من الناس))⁽⁵⁰⁾.

وقد غلّط النجاشي جملة من مضامين كتاب الكشي (ت أواخر القرن الرابع الهجري) بقوله: ((له كتاب الرجال, كثير العلم وفيه أغلاط كثيرة))⁽⁵¹⁾.

وكل ما ذكرناه باقتضاب من كثير من التداخلات والتناقضات والاختلافات ومجريات النقد التي تجري بين العلماء والمشتغلين بالبحث إنما يعني الكشف عن الحقائق العلمية من جراء تلك المحاورات.

وقد مهدت مرحلة القدماء من علماء الحديث والرواة إلى قبول حالة النقد تجاه الظواهر السلبية، بل كانوا هم المحدثين والرواة والنقاد بالوقت نفسه كي يضعوا حجر الأساس لتطور المدرسة النقدية للترميم والبناء العلمي، وهذا الأمر قد فرض نفسه نتيجة لايمان هذا الرعيل بالمساهمات العلمية التي من شأنها فتح أبواب جديدة ما زال الحال يتقبل هذا الفتح والذي ساعد القرآن والكريم والعقل على قبوله، وقد استقبلت الأجيال واحداً تلو الآخر تقبل هذا الطرح والتنظير فما كان على المدرسة المعاصرة لعلوم الحديث والرواة والتي نقول عنها بشكل أدق المدرسة الرجالية المعاصرة باحتواء هذه المفاهيم حيث تكفلت إحداث ثورة جديدة في واقع تطور الفكر الرجالي الذي هو عبارة عن إزالة الظلام عن وجه المنظومة الحديثية المعاصرة وبأفكار ناصعة سيتبناها المبحث الأخير من هذا البحث .

2- طروحات المدرسة الرجالية المعاصرة لتبني المعاصرة والتجديد

نستطيع القول بأن رعييل القدماء من المحدثين والرواة والنقاد قد استشعروا حالة من طور الترتيب للتعاون المنهجي والمعبر عنه بمراحل تلقي العلم من خلال الحلقات الدراسية المستمرة بين الشيوخ وتلاميذهم حيث ((كان لتطور النقد الرجالي منذ صدر الإسلام واستمراره حتى نهاية القرن الثالث الهجري الذي ما إن انتهى حتى انتهى آخر أساس من أسس علم النقد الحديثي ثم انتقل إلى طور آخر هو طور التنظيم والترتيب والشرح والاستدراك))⁽⁵²⁾.

وقد ظهر لنا بان القول الرجالي وان تقدم أو مر عليه الزمن، لا يعني القطع بقوله حتى يكون من المسلمات العلمية، فلا اختصاص بالقطع في قول من تقدم زمنياً، بل قد يكون المتأخر أكثر تطلعاً ممن تقدم عليه زماناً لعدة أسباب منها دقة الإحاطة بالحدث والتحليل إضافة لتفوقه في الخبرة وكونه من أهل الفن والمراس، فقد يكون ذلك من باب كونها للمتأخر ولم يطلع عليها المتقدم⁽⁵³⁾.

لذلك فقد تصدى رعييل المتأخرين لجمع كتب الرجال وترتيبها تسهيلاً على طالبي تلك الاخبار فألفوا كتباً مبسوطه مبوبة وأصولاً مضبوطة مهذبة مشتملة على الأسانيد⁽⁵⁴⁾.

لقد بدأ القدماء بداية حسنة في هذا التأسيس، وكان ذلك على يد قلة منهم، ويبدو أن أصحاب بعض المؤلفات عالجوا بمؤلفاتهم تلك كثيراً من الأغلاط، حيث لعبت دوراً في إجراء تغييرات علمية كبيرة على عاتقها وقومت الكثير من الشطحات التي قام بها من هم اقل علماً ومراساً منهم وهي كتب الطبقات وتقسيم المصنفات على وفقها ((ويبدو ان تقسيم المصنفات في ضوء الطبقات مما يدل على التخصص المبكر))⁽⁵⁵⁾، وهذا النوع التخصص إنما يدل على معافاة هذه الاختصاصات التي شاءت الظروف ان يدفعوا عجلة هذا النوع من العلم إلى أمام .

وصارت الهوية العلمية في الألفية والمعنوية إنما تنهض بالمقدرة على القدرة في الأداء لأعلى عوامل السبق الزمني أو الذاتي ((فقد يحصل للمتأخر إحاطة ما لم يحصل للمتقدم))⁽⁵⁶⁾.

وقد أفصح النجاشي بتبنيه لهذا المعنى في ديباجة كتابه (الرجال) بقوله ((على أن لأصحابنا - رحمهم الله - في بعض هذا الفن كتباً ليست مستغرقة لجميع ما رسمه، وأرجو ان يأتي في ذلك على ما رسم وحدّ أن شاء الله تعالى))⁽⁵⁷⁾.

وقد احتضنت المدرسة الرجالية المعاصرة هذه الأفكار وساهمت في صناعة أنماط جديدة على يد رجالها المتطلعين بوضع خارطة معاصرة هدفها إنما الفكر الرجالي الذي يؤدي لصيانة الشريعة في الحفاظ على ثاني أكبر المصادر في التشريع الإسلامي الذي هو تراث الحبيب المصطفى (8) وأهل بيته الكرام (Γ) .

وقد توخى أصحاب الجوامع الرجالية في العصور المتأخرة، هذا النوع من البحوث والدراسات، حيث أنها أفادت مجالات تطور الحديث الشريف خصوصاً والدراسات التحليلية في التشريع أهمية قصوى وتمثلت فيما يلي :

أ- مجمع الرجال لمؤلفه زكي الدين القهبائي (كان حياً سنة 1016هـ) وهو من تلاميذ المقدس الاردبيلي (ت993هـ)، والمولى عبد الله التستري (ت1021هـ)، والشيخ البهائي (ت1031هـ) وقد اخذ على عاتقه جمع تمام ما في الأصول الرجالية الأولية .

ب- منهج المقال : لمؤلفه السيد الميرزا محمد بن علي بن إبراهيم الاسترآبادي (ت1028هـ) وهو استاذ المولى محمد امين الاسترآبادي صاحب كتاب (الفوائد المدنية) وهو مؤلف ثلاث كتب رجالية .

ج- جامع الرواة: وهو تأليف الشيخ محمد الاردبيلي (ت993هـ) الذي استغرق في تأليفه ما يقرب من عشرين سنة .

وما يميز هذا الكتاب ان مؤلفه ابتكر قواعد رجالية صار ببركتها كثير من الاخبار التي كانت مجهولة أو ضعيفة أو مرسلة معلومة الحال، صحيحة السند، ولمؤلف هذا الكتاب كتاب آخر اسمه (تصحيح الأسانيد)، قام في رفع النقص الموجود في كتب الرجال⁽⁵⁸⁾.

يقول الأستاذ السبجاني ((والحق أن الرجل مبتكر في فنه، مبدع في عمله يكشف بعمله هذا الستر عن كثير من المبهمات))⁽⁵⁹⁾.

د- نقد الرجال : لمؤلفه السيد مصطفى التفريشي (ت بعد 1044هـ)، وقد قام بتأليفه عام (1015)، وكان عبد الله التستري شيخاً له، قال في ديباجة هذا الكتاب ((أردت ان اكتب كتاباً يشتمل على جميع أسماء الرجال الممدوحين والمذمومين والمهملين، يخلو من تكرار وغلط ينطوي على حسن الترتيب))⁽⁶⁰⁾.

هـ- منتهى المقال في أحوال الرجال: ((وهو من مؤلفات الشيخ أبي علي محمد بن إسماعيل الحائري ت(1215) أو (1216) .

وقد ألفت هذه الجوامع المذكورة بين أواخر القرن العاشر - أواخر القرن الثاني عشر واتصفت بجهود مؤلفيها بجمع القرائن على وثاقة الراوي أو ضعفه .

ثم تلت هذه المرحلة مرحلة الجوامع الرجالية الدارجة على منهج القدماء والمتمثلة في:

أ- بهجة الامال في شرح زبدة المقال في علم الرجال لمؤلفه الشيخ علي بن عبد الله محمد بن محب الله بن محمد جعفر العلياري (ت1327هـ) .

ب- تنقيح المقال في علم الرجال: لمؤلفه الشيخ عبد الله المامقاني (ت1351هـ) في ثلاثة اجزاء كبار وهو أجمع كتاب ألف في الموضوع الرجالي, استمر في تأليفه فترة ثلاث سنين وقد انتهى من تأليفه برجب عام 1349هـ⁽⁶¹⁾.

ج- قاموس الرجال: للعلامة المحقق الشيخ محمد تقي التستري (من علماء ق14) والمؤلف يعد ((حقاً احد ابطال هذا العلم ونقاده))⁽⁶²⁾.

ثم تأتي المرحلة الأخيرة من مرحلة الجوامع الرجالية وهي الجوامع التي كانت نتاجاً للمدرسة المعاصرة والتي تمثلت بالجهود المتميزة التالية⁽⁶³⁾:

أ- جامع الرواة : لمؤلفه المحقق محمد بن علي الادريبي (ت993هـ) المعاصر للعلامة المجلسي (ت1111هـ), فهو يلتقط من ترجمة الرجال جملة من الأسانيد عن الكتب الأربعة وغيرها, ويجعل منها دليلاً في تعرفه على شيوخ الراوي وتلامذته وطبقته وعصره.

ب- طرائف المقال: لمؤلفه السيد شفيع الموسوي التفريشي (كان حياً سنة 1044هـ) وألفه على نمط الطبقات وكان باثنتين وثلاثين طبقة، سلك منهج الطوسي في نظام الطبقات وجعل الطوسي ومن بطبقته الطبقة الثانية عشر⁽⁶⁴⁾.

ج- مرتب الأسانيد: وألفه المحقق السيد حسين بن محمد رضا الحسيني البروجردي (ت1276هـ) استوفى في تاليفاته بترتيب الأسانيد وموازنة بعضها ببعض الآخر ليعرف شيوخ وتلاميذ الراوي ومعرفة طبقتهم وغير ذلك من الفوائد⁽⁶⁵⁾.

د- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة: لمؤلفه العلامة المحقق السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت1413هـ)، ومن خصائص هذا النمط الرجالي المعاصر ان مؤلفه ذكر في ترجمة كل شخص جميع رواته ومن روى هو عنهم في الكتب الأربعة، وبذلك قدّم لنا هذا المحقق الكبير الذي يمثل المدرسة الرجالية المعاصرة خدمة جبارة في علم الرجال الذي اتضح من اسم الكتاب والذي اعتمد فيه منهج الطوسي على وفق الطريق الطبقي للرواة وهذه خدمة تتصف بالتحليل والعمق والمدارسة الجديدة التي طرحت حلولاً تقويمية لشطحات القدماء في مجال علوم الحديث على وفق المنظومة الفكرية المعاصرة، وقد تميز هذا الجهد أيضاً بالتميز الكامل بين المشتركات باغلب الأحيان، لأن ظاهرة الاشتراك كبحت المحاولات التأصيلية للمحدثين والرواة بسبب ضياعها بالاشتراك، فجاء جهد السيد الخوئي علامة متميزة حتى عدّ كتابه هذا من حسنات الدهر⁽⁶⁶⁾.

حيث بلغ عدد من ترجم لهم السند من الرجال والنساء (15678) فكان معجماً ضخماً لم يصل إليه سوى القلائل من الرجال⁽⁶⁷⁾.

وفي مقابل هذه التنظيرات الميسرة فقد سجل الخوئي (Σ) تشدداً في بعض الاتجاهات وكان يهدف من ورائها إلى موائمة الآراء بين الماضي وبين الآراء المعاصرة للخروج باحسن النتائج الرجالية، ومن جملة ما تشدد به (Σ) رفضه لنظرية الشهرة الفتوائية التي ترى في اشتهاار فتوى بين الفقهاء مدركاً لصوابها⁽⁶⁸⁾، كما رفض توثيق جميع أصحاب الصادق اعتماداً على نص الشيخ المفيد (ت413هـ) كما ذكرناه في بطن البحث .

حيث ((ما يذكر من شواهد وقرائن على انقطاع طرق المتأخرين، فضلاً عن متأخري المتأخرين في التوثيق، لضياح كتب الرجال والفهارس وحصر طرقهم في الإجازات الصادرة عنهم كلها إلى الشيخ))⁽⁶⁹⁾.

هذا وقد أوضح البحث من خلال مفاصله ان هنالك وهنات قد واكبت مسيرة محاولات الأقدمين الإصلاحية ويمكن ان توصف بأنها وهنات فنية خطتهم فنية في خطتهم تلك، ومن أجل هذا فقد بادرت كوكبة جديدة تمثلت بعدة من الإعلام والمشايخ في العصر الماضي والحاضر إلى سلوك طريق جديد في عمليات الاستبطان من خلال الرجوع إلى فحص السند فحصاً دقيقاً في الروايات المتكررة والوقوف على الكتب الحديثية الحاوية على أسماء الرواة، ووجد هذا الرعيل أن بهذا المسلك إمكانية التعرف على مضامين ومتعلقات الراوي وإحاطته وضبطه وفقهه ووثقته في نقله لرواياته، كما أن دراسة متون أحاديث الراوي المبعثرة هنا وهناك ومتابعتها لفظاً ومعنىً وكماً وكيفاً يمكن الوصول من خلالها إلى فهم رواياته ومعرفة مقدارها قلة وكثرة، كما يمكن الوقوف على مديات فهمه ومعرفة مداركه وقدرته في الإحاطة

ودرجة حذاقته إذا تم إخضاع رواياته إلى الدراسة المقارناتية لرواياته ببعضها, كما يمكن من خلال هذا النوع من الدراسة لهذا الموروث الروائي معرفة المعلول والمدلس⁽⁷⁰⁾.

ومن خلال دراسة روايات الراوي وبالمقارنة أيضاً معرفة مشايخ الراوي وتلاميذه, إضافة لمعرفة الحلقات المفقودة من خلال دراسة السند من حيث الكمال والسقط⁽⁷¹⁾.

وبذلك تساهم هذه المدرسة بدراساتها المعاصرة إلى إخضاع التراث لنظرة جديدة من البحث الرجالي حيث بمفهومها الجديد هذا ينكشف حال معرفة الرواة وطبقاتهم عن طريق أحاديثهم وملاحظتها متناً وسنداً فيُعد هذا عندئذ معرفة بالمباشرة والنظر لا بالتقليد والاثر وهذا هو الطريق الذي سلكته المدرسة المعاصرة في جهودها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد بن عبد الله (8) وآله الطيبين الطاهرين .

نتائج البحث وجدواه وأهم أهدافه

أصبح مألوفاً لدى ذوي العقول إن شرقت أو غربت ولأي دين انتمت بان قول الله هو العظمة التي لا تجارى وإن الدين عند الله هو الإسلام, وأن نبي الإسلام هو الحبيب المصطفى (8) وهذه بالطبع من الثوابت, فلا يستحسن عند ذوي اللب إعادة ذلك لأن المعرفة لا يعرف بعد .

لذلك يتوجب علينا ان لا نراوح على هذه المفاهيم بمنهج إنشائي والعالم يتطور لحظة بلحظة, علينا ان ننطلق نحن أيضاً بمنهج جديد ومعاصر يجعل من كلام الله عز وجل وقول نبيه (8) منطلقاً ودليلاً نحو حياة أفضل يتسم بحجج وبراهين تتناسب والذي أراده لنا ورسوله الكريم , فلا نريد ان نكون سماعين للقولين الشريفين لا عاملين – اعني قول الله جل وعلا وقول نبيه – بل نكون ممن قال الله فيهم ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (72).

فكل بني البشر لهم آذان يسمعون بها, ولكن العبرة بالسامع مع وفعله الذي يتجسد له بعد سماعه.

أنها لربما الفرصة الأخيرة لنا في ان نجعل من كلام رسول الله (8) ووثيقة نهضتنا, كي نعيد النظر بانفسنا وهذا لا يتم إلا ان نجعل قوله (8) ورشة عمل دائمة, والتعرف على ما أراده منا لنسمو ونكون من الفائزين .

أنها دعوة لكل مسلم لنجعل من أقواله حضارة جديدة معاصرة لننهض بها كما نهض بها غيرنا وسبقونا بتجارتنا لنقول نادمين (هذه تجارتنا ردت إلينا) .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين .

Research and feasibility and the results of the most important objectives

Became familiar to people with minds that East or west and of any religion belonged that the words of God is the greatness that is not commercial and that God's religion is Islam and the Prophet of Islam is the beloved Prophet , and this, of course, one of the constants, it is advisable in those with pulp re because Almraf not yet known.

So we should not be running in on these concepts approach structural and the world evolves, moment by moment, we have to we proceed too fresh and contemporary approach makes the word of God Almighty and the words of the Prophet platform and a guide for a better life characterized by arguments and Brahim fit and he wanted us and the Holy Messenger, we do not want to be Smaein there are two views of Mosques - I mean the words of God Almighty and the words of the Prophet - but be who God said those who listen {say tracking Well those who guided them to God and those are the Ulloa kernels } Zumar / 18.

Human beings have ears to hear them, but the lesson Balsama do with embodied him after the hearing.

It is probably his last chance for us in that we make from the words of the Messenger of Allah and Otico of renaissance, in order to re-examine ourselves, and this is not only to make saying Workshop durable, and get to know what he wanted us to Nsmoa and be one of the winners.

It is a call for every Muslim to make his words a contemporary new civilization to rise by as the others got up and gone before us to tell Btjartna repentant (this is our trade we received). And Praise be to Allah, Lord of the Worlds, prayer and peace upon the best of His creation Muhammad and The God of the good and virtuous.

الهوامش

- 1- هود/ 120 .
- 2- يوسف/12 .
- 3- الكهف/13 .
- 4- طه/ 99 .
- 5- ينظر/ جعفر السبحاني, الحديث النبوي بين الرواية والدراية, 7 .
- 6- عبد الهادي الفضلي, أصول الحديث, 5 .
- 7- توماس كارليل (Dr. Tomas Karlil), الابطال , 58 .
- 8- نبيل الحسني, ظاهرة الاستقلاب في النص النبوي والتاريخي, 8 .
- 9- ابن حزم, الاحكام في أصول الاحكام, 208/1 .
- 10- ينظر/ حسن الحكيم, مذهب الإسلاميين في علوم الحديث, 15 .
- 11- لسان العرب, مادة (حدث), 134-131/2 .
- 12- النحل/ 44 .
- 13- صباح عباس عنوز, الاداء البياني في لغة الحديث الشريف, 23 .
- 14- رضا مؤدب, تاريخ الحديث, 32 .
- 15- محمد حمزة, الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث, 5 .
- 16- محمد حمزة, الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث , 6 .
- 17- ينظر/ حسن الحكيم, مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث, 20 .
- 18- المامقاني, تنقيح المقال في علم الرجال, 172/1 .
- 19- ينظر/ عبد الهادي الفضلي, أصول علم الرجال, 11 .
- 20- الطهراني, الذريعة, 80/10 .
- 21- ينظر/ محمد السند, بحوث في مباني علم الرجال, 16 .
- 22- ينظر/ جعفر السبحاني , كليات في علم الرجال, 23 .
- 23- ينظر/ عبد الهادي الفضلي, أصول الحديث, 15 .
- 24- الحاكم النيسابوري, معرفة علم الحديث, 58-55 .
- 25- ينظر/ قيس كاظم عجيل الأسدي, البحث القرآني عند الدكتور محمد حسين الصغير , 78-47 .
- 26- الطوسي, الرجال, 71 رقم الترجمة (654) .
الفهرست, 107, رقم الترجمة (456) .

- الخوئي، معجم رجال الحديث، 69/12 رقم الترجمة (7446) .
- 27- البرقي، الرجال، 4 .
- 28- ينظر/ الرازي، مختار الصحاح، 204 .
- 29- لقمان/34 .
- 30- الشورى/ 52 .
- 31- الشهيد الثاني، شرح البداية، 45 .
- 32- بهاء الدين العاملي، الوجيزة، 1 .
- 33- ينظر/ جعفر السبحاني، أصول الحديث واحكامه ، 14 .
- 34- ينظر/ جعفر السبحاني، أصول الحديث واحكامه ، 15 .
- 35- جعفر السبحاني، كليات في علم الرجال، 16 .
- وينظر/ حسن كريم الربيعي، الخلاصة في علم الدراية، 5 .
- 36- عبد الهادي الفضلي، أصول علم الرجال، 19 .
- 37- ينظر هذه القاعدة الكلية في/
عبد الهادي الفضلي، أصول علم الرجال، 19 .
- 38- العمري، موارد الخطيب البغدادي، 171 .
- وينظر/ حسن الحكيم، كتاب المنتظم لابن الجوزي، 357 .
- وحسن الحكيم، مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث، 20 .
- 39- كمال الحيدري، الموروث الروائي بين النشأة والتأثير، 15 .
- 40- الكليني، أصول الكافي، 62/1 كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث.
- 41- ينظر هذا التقسيم له (X) في /
- الكليني، أصول الكافي، 62/1 كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث.
- 42- الطوسي، رجال الطوسي، 17 .
- 43- م . ن ، 17 .
- 44- م . ن ، 46 رقم الترجمة (366) .
- 45- م . ن ، 43 رقم الترجمة (311) .
- 46- م . ن ، 47 رقم الترجمة (379) .
- 47- المفيد، الإرشاد، 262 .
- 48- فصلت/ 42 .
- 49- كمال الحيدري، ميزان تصحيح الموروث الروائي، 18 .
- 50- النجاشي، رجال النجاشي، 350 رقم الترجمة (944) .

- 51- النجاشي, رجال النجاشي, 372 رقم الترجمة (1019) .
- 52- الدايني, تاريخ النقد الحديثي, 82 .
- 53- محمد السند, بحوث في مباني علم الرجال, 128 .
- 54- ينظر/ حسين علي محفوظ, جوانب منسية في دراسة السُنَّة النبوية, 23 .
- 55- الدايني, تاريخ النقد الحديثي, 90 .
- 56- محمد السند, بحوث في مباني علم الرجال, 128 .
- 57- النجاشي, رجال النجاشي, ديباجة الكتاب, 3 .
- 58- جعفر السبحاني, كليات في علم الرجال, 128 .
- 59- م . ن , 129 .
- 60- م . ن , 130 .
- 61- ينظر/ المامقاني, تنقيح المقال في علم الرجال, 1/1 .
- وينظر/ صالح القريشي, الشيخ المامقاني ومنهجه في كتاب تنقيح المقال في علم الرجال, 5
- 62- جعفر السبحاني, كليات في علم الرجال, 136 .
- 63- ينظر هذه الجوامع /
- جعفر السبحاني, كليات في علم الرجال, 143 وما بعدها .
- 64- عبد الهادي الفضلي, أصول علم الرجال, 50 .
- 65- ينظر/ جعفر السبحاني, كليات في علوم الرجال, 144 .
- وينظر/ عبد الهادي الفضلي, أصول علم الرجال, 58 .
- 66- ينظر/ جعفر السبحاني, كليات في علم الرجال, 147 .
- وكذلك / حيدر حب الله, نظرية السُنَّة في الفكر الامامي, 496 .
- 67- ينظر/ محمد آصف المحسني, بحوث في علم الرجال, 251
- وينظر / حيدر حب الله, نظرية السنة في الفكر الامامي, 496 .
- وجعفر السبحاني, كليات في علم الرجال, 146 وما بعدها .
- 68- ينظر/ حيدر حب الله, نظريسة السنة في الفكر الامامي, 496 .
- 69- محمد السند, بحوث في مباني علم الرجال, 128 .
- 70- ينظر التفاصيل في ذلك / عادل عبد الجبار الشاطي, علل الحديث, 106 وما بعدها .
- 71- جعفر السبحاني, كليات في علم الرجال, 142 وما بعدها .
- 72- الزمر / 18 .

مصادر البحث ومراجعته

القرآن العظيم

- 1- الأبطال, توماس كارليل (Dr.Tomas Karlil), عربه محمد السباعي, دار التراث العربي, بيروت - لبنان .
- 2- الإحكام في أصول الأحكام, ابن حزم (علي بن حزم الأندلسي الظاهري ت456هـ), دار الجيل, بيروت - لبنان, 1407هـ.
- 3- الاداء البياني في لغة الحديث الشريف, الأستاذ الدكتور صباح عباس عنوز, مطبعة دار الضياء, النجف الأشرف, 2014م.
- 4- الإرشاد, المفيد(محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي ت413هـ), ط1, بيروت - لبنان, 1429هـ-2008م .
- 5- أصول الحديث, الدكتور عبد الهادي الفضلي, دار المؤرخ العربي, ط1, بيروت - لبنان, 1414هـ-1993م
- 6- أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية, جعفر السبحاني, دار جواد الأئمة (X), ط1, 1433هـ-2012م.
- 7- أصول علم الرجال, الدكتور عبد الهادي الفضلي, ط1, بيروت - لبنان, 1414هـ-1994م .
- 8- البحث القرآني عند الدكتور محمد حسين الصغير, قيس كاظم عجيل الأسدي, إصدارات جامعة الكوفة, ط1, مطبعة دار الضياء للطباعة والنشر والتصميم.
- 9- بحوث في علم الرجال, محمد آصف المحسني, ط4, مطبعة الطاووس, إيران-قم, 1421هـ,
- 10- بحوث في مباني علم الرجال - معالجة علمية لبعض الآثار الفاشلة حول التراث الديني تحت ذريعة تهذيب الأحاديث وتصحيحها, محمد السند, منشورات مدين, ط1, مطبعة الوفاء, إيران - قم, 2012 .

- 11- تاريخ الحديث, الدكتور رضا مؤدب, تعريب الدكتور عبد الكريم الحيدري, مركز المصطفى, العالمي للترجمة والنشر, ط1, مطبعة اميران, إيران - قم, 1431هـ.
- 12- تاريخ النقد الحديثي وضوابطه, عزيز رشيد محمد الدايني, دار الكتب العلمية, بيروت-لبنان, 1428هـ.
- 13- تنقيح المقال في علم الرجال, المامقاني (عبد الله بن محمد حسن ت1351هـ), منشورات المطبعة المرتضوية, النجف الأشرف, 1352هـ.
- 14- جوانب منسية في دراسة السنة النبوية, الأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ, تحقيق وتعليق مركز البحوث والدراسات, ط1, مطبعة الشموع, بغداد, 1426هـ-2005م.
- 15- الحديث النبوي بين الرواية والدراية - دراسة موضوعية منهجية لأحاديث أربعين صحابياً على ضوء الكتاب, السنة, العقل, اتفاق الأمة, والتاريخ - , جعفر السبحاني, ط2, مطبعة الإمام الصادق (X), إيران - قم, 1430هـ .
- 16- الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث, محمد حمزة, المؤسسة العربية للتحديث الفكري, ط1, بيروت - لبنان, 2005م .
- 17- الخلاصة في علم الدراية, الدكتور حسن كريم الربيعي, النجف الأشرف, 1425هـ-2005م.
- 18- الذريعة إلى تصانيف الشيعة, محمد حسن المعروف بآغا بزرك (ت1389هـ), مطابع مجلس الشورى, إيران-طهران, 1390هـ.
- 19- رجال البرقي, البرقي (أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد الكوفي ت274 أو 280 أو 281هـ), منشورات الموسوعة العلمية في, إيران-طهران, 1383هـ.
- 20- رجال الطوسي, الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن ت460هـ), تحقيق جواد القيومي, مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم, ط4, 1428هـ.

- 21- رجال النجاشي، النجاشي (أبو العباس احمد بن علي بن احمد بن العباس ت450هـ)، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط10، إيران - قم ، 1432هـ.
- 22- شرح البداية أو شرح الرعاية، الشهيد الثاني (زين الدين العاملي ت966هـ)، إيران - قم، 1408هـ.
- 23- الشيخ المامقاني ومنهجه في كتاب تنقيح المقال في علم الرجال، الدكتور صالح جبار القريشي، أطروحة دكتوراه في جامعة الكوفة - كلية الفقه، 1421هـ- 2010م.
- 24- ظاهرة الاستقلاب في النص النبوي والتاريخي - حديث سد الأبواب انموذجا - دراسة تحليلية - ، نبيل الحسني، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط1، بيروت- لبنان، 1435هـ-2014م .
- 25- علل الحديث في تهذيب الاحكام للشيخ الطوسي ت460هـ، عادل عبد الجبار ثامر الشاطي، العارف للمنشورات، ط1، بيروت-لبنان، 2013م.
- 26- الكافي، الكليني (أبو جعفر محمد بن يعقوب ت329هـ)، مطبعة الحيدري طهران - إيران ، 1379هـ.
- 27- كتاب المنتظم لابن الجوزي - دراسة في منهجه وموارده وأهميته - ، الأستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم، عالم الكتب، بيروت - لبنان ، 1986م.
- 28- كليات في علم الرجال، جعفر السبحاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط1، إيران - قم ، 1428هـ.
- 29- لسان العرب، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري ت711هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان، 1375هـ-1956م.
- 30- مختار الصحاح، الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي)، دار الرسالة، الكويت، 1403هـ-1983م .

- 31- مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث, الأستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم, ط1, النجف الأشرف, 1426هـ-2006م.
- 32- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة, أبو القاسم الموسوي الخوئي, ط1, 1409هـ.
- 33- معرفة علوم الحديث, الحاكم النيسابوري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله 405هـ), مطابع شركة الخدمة الصحافية والطباعة, ط3, بيروت-لبنان, 1979م .
- 34- موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد, الدكتور أكرم ضياء العمري, ط1, مطبعة محمد هاشم الكتبي, دمشق, 1395هـ-1975م.
- 35- الموروث الروائي بين النشأة والتأثير, كمال الحيدري, مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة, بغداد, 1426هـ-2014م .
- 36- ميزان تصحيح الموروث الروائي - معالم نظرية عرض الروايات على القرآن الكريم- , كمال الحيدري, مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة, بغداد, 1437هـ-2015م .
- 37- نظرية السنة في الفكر الإمامي الشيعي - التكون والصورورة - , حيدر حب الله, الانتشار العربي, ط1, بيروت- لبنان, 2006م .
- 38- الوجيزة, (بهاء الدين العاملي ت1030هـ), طهران-إيران, 1321هـ.